

جماليات الأسلوب في خطب الإمام الحسين (عليه السلام)

م.م. زمن علي حسن
مدرسة الالباب الابتدائية للبنات، المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار، وزارة التربية، العراق

المخلص

يتناول البحث جماليات الأسلوب في خطب الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال تحليل البنية اللغوية والأسلوبية التي تميزت بها خطبه، مستنداً إلى منهجيات تحليل الخطاب الحديثة. ركز البحث على دراسة التماسك النصي في خطب الإمام الحسين، معتمداً على مفهومي "السبك" و"الحبك". أظهر أن خطب الإمام تتميز بالانسجام الداخلي من خلال استخدام أدوات الربط، الإحالة، الحذف، والاستبدال، مما يساهم في وضوح المعنى وسهولة الفهم تم تحليل استراتيجيات الخطاب في خطب الإمام الحسين وفقاً للمنهج التداولي، حيث تبين أن الإمام استخدم أساليب متعددة للتواصل مع المخاطبين، مثل الإقناع، الاستمالة، والحجاج، مما يعكس براعته في توظيف اللغة لتحقيق أهدافه الإصلاحية تضمنت خطب الإمام الحسين دعوات للإصلاح الأخلاقي والاجتماعي، حيث استخدم مواظ قصيرة وعميقة الدلالة، تحث على مكارم الأخلاق وتجنب الرذائل، مما يعكس التزامه بالقيم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: جمالية التعبير، هندسة المعنى، الصور البلاغية، المستوى الإيقاعي الموسيقي .

The Aesthetics of Style in the Sermons of Imam Hussein (peace be upon him)

Zaman Ali Hassan

Al-Albab Elementary School for Girls, General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate, Ministry of Education, Iraq

ABSTRACT

This study examines the aesthetics of style in the sermons of Imam Hussein (peace be upon him) by analyzing the linguistic and stylistic structure that characterized his sermons, relying on modern discourse analysis methodologies. The study focused on studying textual coherence in Imam Hussein's sermons, relying on the concepts of "casting" and "weaving." It demonstrated that the Imam's sermons are characterized by internal coherence through the use of conjunctions, reference, ellipsis, and substitution, which contribute to clarity of meaning and ease of understanding. The discourse strategies in Imam Hussein's sermons were analyzed according to the pragmatic approach, revealing that the Imam used multiple methods to communicate with his audience, such as persuasion, attraction, and argumentation, reflecting his skill in employing language to achieve his reformist goals. Imam Hussein's sermons included calls for moral and social reform, employing short, deeply meaningful sermons that urged noble morals and the avoidance of vices, reflecting his commitment to Islamic values.

Keywords: Aesthetics of Expression, Engineering Meaning, Rhetorical Images, Rhythmic Level of Music.

المقدمة

تعد الدراسات الإسلامية الحديثة وسيلة مثلى لدراسة الأدب وعناصره والحاجه التي تعدل الخطاب الأدبي فترفعه الى المستوى الجمالي المؤثر في المتلقي والمخاطب.

فكان الخطاب الحسيني خطاب له التأثير في النفوس والاثر الفعال في احداث التغيير، فتعد الخطب الحسينية ذات قيمة مولده لثراء ادبي اغنى اللغة العربية بالعديد من النظم والتهذيب في سياقات هيكله النصوص وعليه تم دراستي لبعض نصوص تلك الخطب دراسة اسلوبية تبحث في مدائن اللغة في نظم سياقها القراءة التحليلية الجمالية في رياض نماذج نصوص نثرية تملؤها الحكمة والموعظة.

مشكلة البحث

نظرا لكثرة الجمال المحيط في العديد من القواعد المعرفية والبلاغية جعلتني احثار في اي منها اخصه في دراستي؟؟ فبحثت في جملة من العلوم والمعارف والقواعد ولكن الاحاطة الشاملة لما هو مقدم في خطب الامام الحسين (عليه السلام) لم تكن بشكل كامل لجميع الخطب، فاقترعت في دراستي ع بعض الخطب كمثال يحتذى به.

اهمية البحث

تبرز اهمية البحث من عدة جوانب اهمها.

- 1_ القيمة الدينية و التاريخية: اذ تعد الخطب الحسينية منبع لثراء عقائدي فكري اسس ع نظم وقواعد ثابتة مأخوذه من القران الكريم
 - 2_ ابراز المكانة العظيمة لآل بيت النبوة وتسليط الاضواء على الدور العظيم للإمام الحسين (عليه السلام) كمصلح وقائد.
 - 3_ العرض الثرائي لجملة من الاسس والقواعد في الجانب البلاغي والادبي وبيان مدى اهميتها في منهج اللغة والتحليل الادبي
 - 4_ واخيرا يسهم هذا البحث في الكشف عن قراءة جديدة للنصوص الحسينية، منهاجها التحليل والربط بين الشكل والمضمون
- اسباب اختيار البحث.

لعل اهم الاسباب في تسليط الضوء ع خطب المسيرة الحسينية جماليا متولد من عدة دوافع اهمها.

- 1_ قلة الدراسات الجمالية المختصة في الخطب مقارنة بالدراسات التاريخية
- 2_ اهتمام وجداني شخصي بدافع الشغف والحب في البحث بشخصية عظيمة مؤثرة بالروح.
- 3_ الحاجة الاكاديمية لربط التراث بالدراسات النقدية الحديثة
- 4_ استكشاف البعد الفني في مجالات البلاغة وتحليل الخطاب.

المبحث الأول

جمالية التعبير في هندسة المعنى ومستوى الدلالة

تعد التعبيرات الأدبية قائمة على التماسك السياقي المبني بشكل دقيق على أسس نحوية يعدل بها المبدع أو الأديب عن استعمال المألوف فيتحوّل النص إلى شبكة من العلاقات النحوية الغامضة في حقيقتها إلى حركة اللغة الزاحفة دوماً في النصوص الإبداعية من الاستعمال اليومي التواصلية.

فاللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . وبما أن الأغراض تعد دلالات لوصف العلاقات التي تربط الجملة، وعليه يمكن بناء هيئة تركيبية بدلالات وضعية لتخرج الكلمات وفق مخارج الأصوات بتراكيب لغوية تلامس شغاف العقل (1)

ومن أبرز السمات الأسلوبية التي تم توظيفها في النصوص الحسينية الشريفة .

أولاً: توظيف الكلمات المفردة.

نجد الخطاب الحسيني قد أعطى أهمية للكلمة المفردة في نثره وذلك ليفتح باب المرونة والحيوية وسعة الحديث، ففي قول الحسين (عليه السلام) في مجلس الوليد بن عتبة عندما طلب منه البيعة ليزيد بعد موت معاوية.

(أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر. قاتل النفس المحرمة معلن الفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن تصبح فيصبحون وننظر فينظرون إنا أحق بالخلافة والبيعة) (2)

نجد توظيف مفردة مثلي لمثله ولم يقل لمثلنا لأنه لا يريد أن يصور الصراع بين أبناء العمومة من أجل الخلافة، وإنما أراد حصر ذلك الصراع ببيت النبوة فأحاط المفردة بالتضمين مع العموم والشمول بسياقها بديباجة المعرفة وأنهم أهل الرسالة ومحل الرحمة، وذلك من خلال تعليق المحذوف بالموجود.

ثانياً: التوكيد

نجد الخطاب الحسيني مليء بالمؤكدات ومنها التأكيد ب(قد). ففي قول الحسين (عليه السلام) في خطبته في معركة الطف مخاطباً أعدائه (واراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم) (3)

فهنا زاد التوكيد بقد من السخط مما كان عليه الحال وأضافت الدلالة ع وقوع الفعل فأدخل الجملة في حيز الحقيقة والنبات لبيان دلالة الحقيقة في وضوح الظاهرة وإعلان الحق ونصرته أمام الباطل وظلمه.

ثالثاً: أسلوب الشرط وأدواته

وظفت أدوات الشرط كدلالة ع سبب ونتيجة فنجد في استعمال (إن) و(إذا) دلالة لأن يكون الأمر غير مقطوع وقليل الحدوث وكثير الترقب والشك (4) . ففي قول الإمام (إن قبلتم عذري وصدقتم قولي واعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن علي سبيل) (5) وذلك خطبة بمعركة الطف فالحسين (عليه السلام) وظف (إن) لتقيد الشك بحدوث فعل الشرط وهذا أن دل على شيء فيدل على موقف الكفار تجاه الحسين وعلم سيدنا

¹ ينظر: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي لمحمد حماسة عبد اللطيف (مجلة ثقافية محلية) الناشر د. عدلي الهوازي.

² موسوعة كلماته: 1/344

³ مقتل الحسين 237، 244

⁴ ينظر/ التركيب اللغوي لشعر السياب، د. خليل إبراهيم العطية

⁵ مقتل الحسين: 236، 238

بذلك، فباستعمال أداة الشرط كان هنالك سبب وهو العلم بارتداد الكفار وبالتالي النتيجة بتحقيق السعادة من خلال تجنب سفك الدماء، فالموقف واضح أمام الحقيقة المعلومة فجاء الثبات وعدم الارتداد من خلال تقديم النصح والإرشاد.

رابعاً: توظيف الفعل المضارع

الفعل المضارع وكما هو معلوم عند أهل اللغة يقصد به كل ما دل على وقوع الحدث في زمن متكلم أو مستقبل⁽⁶⁾. وعليه كان توظيف الفعل المضارع في مجمل الخطاب وبالأخص الخطاب الحسينية دلالة ع الحيوية والاستمرار لتكون خطب فاعلة لكل زمان ومكان، فنجد في قول أمامنا الحسين (عليه السلام) (يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً)⁽⁷⁾. بالفعل المضارع (يسكن) والمسبوق ب(لا) النافية أعطى به حركة محسوسة ملموسة شعورياً ووجدانياً ليصف لنا أن الثائر سيظهر ليمليء الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً بالدم، ومما زاد من الاتزان للفعل المضارع كونه مسبقاً ب(سوف) كدلالة ع حتمية الوقوع والتحقق من مبعث الأمام صاحب العصر والزمان، وهذا أفضل ما استعمل من قواعد اللغة العربية وآدابها.

المبحث الثاني

جمالية التعبير في الصور البلاغية

جمالية التعبير في المستوى البلاغي البلاغة في اللغة تعني الانتهاء والوصول إلى الغاية ولو تلمسنا هذه الكلمة في التراث النقدي البلاغي وجدنا لفظة بليغ في قوله تعالى ((وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً))⁽⁸⁾.

وعليه يكون المستوى بثلاث أساسيات.

أولها:- الكناية.

وهي يراد بها معنى مخفي وراء معنى ظاهر، فيشار لما هو ظاهر ليبدل به ع ما أخفي من المعاني، أي الإيحاء والإشارة⁽⁹⁾. ففي معركة الطف نجد توظيف ذلك في قوله (وأعرض بوجه الكريم عنهم)⁽¹⁰⁾، وهو كناية عن الغضب والنقمة والشدة في الحرب فقدم صفات الكريم صاحب الوجه العطوف والقلب الرحيم ليبرز به خبث مكائدهم ومكرهم من خلال النفور والابتعاد بعرضه لكلمة أعرض وجعلها هي الفاصل والحكم.

⁶ ينظر: موسوعة كلماته: ٤٩/١

⁷ مقتل الحسين ٢٣٨/

⁸ -سورة النساء: ٦٣

⁹ ينظر الملهوف في قتل الطفوف، ابن طاووس: ١٥٦

¹⁰ مقتل الحسين: ٢٣٧

ثانياً: _المقابلة

وهي جمع بين الشيء وضده (11)، ففي خطب الحسين (عليه السلام) نلمح المؤشر الاسلوبي بنشكيلات المقابلات وذلك في قوله (أن قبلتم عذري وصدقتم قلبي اعطيتموني النصف) (12) .

فهنا عرض المقابلة تشكل من خلال السبب والنتيجة، أي بمعنى أن صدقتم وأمنتم وقيلت بالدين الذي جئتم به فقد نلتكم المكانة والقبول وحصدتم رضا الله ﷻ وذلك لان (لا يخلو الحال من وجهين، اما ان يقابل شيء بضده، او يقابل بما ليس ضده وليس لنا وجه ثالث) (13). فكانت الصورة المظلمة واضحة امام ظاهرها وهي الحقيقة التي رسمها الامام الحسين (عليه السلام) في اهم خطبه ليبين حقائق ومكائد معاوية بصورة حية واضحة لكل جيل وعبر ازمنة العصور.

ثالثاً/التضمين والاقْتباس

وضح اهل اللغة التضمين ع انه هو الاشتمال اما الاقتباس فهو الاخذ، وعلى الرغم من اختلاف المعنى بين الظاهرتين الا ان الترابط يحيط بهما وعليه يكون (الاقتباس ان تضمن الكلام نظماً او نثراً شيئاً من القرآن الكريم او الحديث لا على انه منه) (14). فقد كان الحسين في كلامه مصدقاً لايات القرآن الكريم ومتضمن لأحكامه، مستعملاً ذلك في نمطين:

أ_ الاقتباس الاشاري.

وهو نوع من الانزياح تتمثل الشده في تراكيبه الداخلية فكأنها سليل من السور والايات القرآنية، فيتحوّل النص كله الى كتلة مقدسة لا يمكن فصلها عن السيرة القرآنية و النبوية. وبرز ذلك نجده في قول الحسن (عليه السلام) في واقعة الطف.

(فلا تغرّم هذه الدنيا فأنها رجاء من ركن اليها وطمع من طمع منها.....ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فبئساً لكم ولما تريدون) (15).

فهنا الامام ادى المقصود من القول من خلال التوبيخ تارة والتهديد تارة اخرى، فكان الخطاب بلسان القرآن الكريم بقوله (لقد استحوذ عليكم الشيطان). اذ حول الآية من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب فأنتجت معادلة بين عالم الدنيا والأخرة وكان القرآن هو اللسان الناطق ع شفاه الحسين (عليه السلام)، فصدق واثبت الحجة على كل من كان ناكراً وواحداً بقضية الامام الحسين (عليه السلام).

ب_ الاقتباس اللفظي.

ف نجد هذا الاقتباس في قوله ((واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يقوم ان كان كبيراً عليكم مقامي وتذكيري بأيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لا يمكن امركم عليكم كنتم ثم اقضوا الي ولا تنظرون)) (16).

فالاستعمال الوظيفي للمفردات و الالفاظ القرآنية نجدها قد اخذت حيز واسع في مجمل الخطب الحسينية، لتكن افضل زاوية لتهذيب النفوس وتوجيه الإرادة فحققت نسيج مترابط، ليعطي به المضمون الاساس بكتلة متماسكة داخلية وخارجية) 17.

¹¹ ينظر: فنون البلاغة، د. احمد مطلوب ٢١٧

¹² مقتل الحسين: ٢٣٦

¹³ -المثل السائر، ابن اثير: ١٤٣/١

¹⁴ ملجم آيات الاقتباس_ حكمه فرج البديري: ١٠

¹⁵ مقتل الحسين: ٢٣٧

¹⁶ سورة المائدة: ٥٥

رابعا: الإيجاز

يعنى بالإيجاز ع النحو المتعارف عليه عند اهل اللغة على انه اختزال الالفاظ واقتصار الجمل (18). فنجد نثر الامام في خطبه الحسينية قد حدا في هيئة تركيبية ظاهرها الجمالي يكمن خلف بلورة الايجاز وذلك في كتبه السرية المتوجه الى اشراف الشيعة في البصرة فنجده يقول: (... اما بعد فان الله اصطفى محمد (ﷺ) على خلقه وكرمه بنبوته واختاره ارسله.... فاستأثر علينا قومه بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة واحيينا الباقية ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا (19).

فالامام استهل حديثه بالذكر الالهي، ليضيف بعدها الإيجاز في موضوعه ويظهر من خلاله الحقيقة الواضحة بأحقية اهل بيت النبوة بالخلافة ، وبرزها الفعل استأثر فبدأته الفاء الواقعة بدل محذوف الفعل المقدر بما عطف عليه وتقديره (طغى القوم فآثرنا عليهم) وهذا ايسر ما جاء من التعابير المجازية لبيان ظاهر القول، والكثير من المحذوفات التي اعطت دلالات إيجازيه في بنية التعابير مجازيا

المبحث الثالث

المستوى الموسيقي الإيقاعي

الإيقاع هو وحدة النغمة التي تتكرر، فهي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر (20). فالمستوى الإيقاعي في خطب المسيرة الحسينية يشمل فيها توالي الحركات والسكنات مكون لتفعيلات متعددة ومنها: _

أولاً: تراكم الاصوات.

تتراكم الأصوات الناطقة للحق في خطب المسيرة الحسينية فنجد التكرار في الكلمات باعثة اسلوبيا يبعث التجدد والحيوية في النص الحسيني إذ نلمح ذلك في قوله:

(عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على عذر فإن الدنيا ما بقيت على أحد أو بقي عليها أحد ...) (21).

فالمراد في الحديث الثواب والعقاب والجنة والنار، فعمد لبيان ذلك إلى تكرار الدنيا أكثر من مرة كدلالة على التحذير والتنبيه من مكر الدنيا وشروها، فشد بها انتباه السامع وغذى الفهم بالإدراك وبذلك سحب الحوار نحو الاصغاء، فكون بذلك إيقاعا فاعلا لدى مسمع المتلقي.

ثانياً :_ الجنس

الجناس هو (أسلوب فن بلاغي وأدبي اتبعه العلماء بحثا ودرسا في مؤلفات كثيرة ويقصد أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناه) (22).

¹⁷ ينظر /التراكيب اللغوية والنقدية في الصحيفة السجادية :٤٧

¹⁸ ينظر /معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :١/٣٤٤

¹⁹ موسوعة كلماته :٣٨٣

²⁰ ينظر /موسيقى الشعر العربي، د. محمد نافوري، ١٦٦، ١٦٧

²¹ مقتل الحسين ٢٤٢

يكاد يكون الجنس ظاهرة عامة في الخطب الحسينية فنجد قوله (لا اعطيكم اعطاء الذليل ولا افر فرار العبيد) (23).

فأعطيكم هنا وإعطاء وكذلك فر وافرار كلها جناس واضح دل على عمق المهارة الأسلوبية وقوة الإبداع وجمال الإحساس بعمق اللغة والغور في أساسياتها، فالمبادلة في الأحرف أعطت معاني مختلفة للكلمات، فأخذت كل كلمة حيزها المناسب من القول.

ثالثاً: جمالية الفاصلة.

تعرف الفاصلة ع أنها أصوات يوتى بها لتقطيع الكلام إلى جمل ويطلق عليها بالمتوازية و الموافقة وذلك بموافقة الوزن أو عدمه مما يدخلها في حيز الانسجام عبر هندسة صوتية (24). ومما نلاحظ في الخطب الحسينية قوله في أوصاف المؤمنين (أن المؤمن اتخذ الله عصمته وقوله مرآته فتارة ينظر في نعت المؤمن، وتارة ينظر في وصف المتحيرين، فهو منه في لطائف، ومن نفسه في تعارف، ومن فطنته في يقين ، ومن قدسه على تمكين) (25).

نجد الفاصلة قد قسمت وفصلت أوصاف المؤمنين إلى فقرات لكل فقرة جملة من السمات، فأخص صوت الهاء بإيقاع التوالي بين فواصل الجمل، وخصص العصمة لله جل جلاله، وبذلك أحكم النص بحالة من الجمال في صياغة الإيقاع .

الخاتمة

استطعت من خلال بحثي المتواضع أن اشخص بعض الاستعمالات عند أماننا الحسين (عليه السلام) ومنها:

- ١_ الاستعمال البارع في التحكم بمهارات اللغة وطبي المفردة والتلاعب بمفردات اللغة، فهو بحر للعلم والمعرفة منذ صغره، فحقق الشرط والسبب والنتيجة وظفر بشد الانتباه .
- ٢_ اعتماده على الاقتباسات القرآنية وهو دليل واضح ع صدق تمسكه وعظيم إمامته فهو الإصلاح لكل زمان ومكان.
- ٣_ جمع الأوصاف والتشبيهات بطريقة عفوية مبسطة مدركه لحقائق الأمور منسجمة مع الأزمنة، فكان الدمج والتكرار خيال يسبح في بحر العاطفة ليلفت انتباه المتلقي.

المصادر والمراجع

- ١_ القرآن الكريم
- ٢_ التراكيب اللغوية والنقدية في الصحيفة السجادية، أ. د. هادي نهر _ دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان -الأردن - ط/٤ _ ٢٠٠٤م
- ٣_ التراكيب اللغوية لشعر السياب /د. جاسم حسن الخالدي، دار الشؤون الثقافية بغداد ط ١/٢٠٠٧م.

22 فنون البلاغة: ٢٢٤

23 مقتل الحسين: ٢٣٨

24 ينظر سر الفصاحة: ٧٣ _ ١٨٠

25 موسوعة كلماته: ٨٩١/٢

- ٤_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر صفاء الدين نصر الله بن الاشر الحوزي (ت٥٦٣٧هـ) ، تح /كامل محمد عويصة، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/١٩٩٨م.
- ٥_ الملهوف في قتل الطفوف، رضي الدين علي ابن موسى طاووس، تح فارسي تبريزيان، دار الأسوة للطباعة والنشر قم ط٣/٤٢٢م.
- ٦_ سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ) مكتبة محمد علي صبيح بميزات الأزهر ط١/١٩٦٩م.
- ٧_ فنون البلاغة (اللسان والبديع) د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت ط١/١٩٦٢م.
- ٨_ معجم آيات الاقتباس، حكمة فرج العنب، دار الرشيد للنشر، بغداد، طبلا، ١٩٨٠م.
- ٩_ معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ط٢/١٩٨٣.
- ١٠_ مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف ط١/٢٠٠١م، مطبعة دار الشروق القاهرة.
- ١١_ مقتل الحسين، تح: العلامة السيد عبد الرزاق المعلم، منشورات مؤسسة فراسان للمطبوعات، بيروت (د.ط) ١٤٢٦هـ_ ٢٠٠٥م.
- ١٢_ موسوعة كلماته، جمع وتحقيق معهد تحقيقات باقر العلوم، أعداد قسم التحديث محمود الشريفي والسيد حسين سجاد ومحمود أحمد والسيد محمود المدني، منظمة الإعلام الإسلامي، دار الأسرة للطباعة والنشر قم ط١/١٤٢٥هـ.
- ١٣_ موسيقى الشعر العربي، د. إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط٢/١٩٥٢م.